

مصر وسوريا والاردن ولبنان ، ومتبهما هذه الاقطار بانها تستغل الفلسطينيين لمآربها الخاصة .

اما اهم جزء في الكتاب ، فهو الذي يخصه سيفال لتطليل البيئة الاسرائيلية من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية . انه على الصعيد السياسي ينتقد اسرائيل بسبب سيطرة الروح العسكرية عليها ، ويورد المثال التالي على ذلك : في حديث له مع ضابط اسرائيلي كبير ، يقول له الاخير : اني لا اؤيد ابقاء قواتنا على الضفة الشرقية للنفط ، فان اي تصف مدفعي مصري سيكلفنا كثيرا ، كما ان بقاءنا في تلك المواقع سيصورنا امام انظار العالم في هيئة اناس متصليين للغاية . ولذا اطلب بالانسحاب لقاء شروط معينة . ولما يسأله سيفال ما هي هذه الشروط ، يجيبه القائد : يجب السماح لنا ببقاء قوة في سيناء تتألف في الغالب من الطيران وذلك لمنع المصريين من القيام بأي هجوم في المستقبل . ولما يسأله سيفال : وهل توافق على احتفاظ المصريين بقوة ماثلة داخل اسرائيل لاحباط اي هجوم اسرائيلي محتمل على مصر ؟ يجيبه القائد باستنكار : طبعا لا .

ويأسف سيفال لاقتناء اسرائيل اثر كل من بروسيا واسبارطه وسيرها على تقاليد هاتين الدولتين في بناء مجتمع عسكري . انه يصف الجو العاطفي المشحون بالحماس الابريالي لجمهور اسرائيل جلس يسمع الى كلمة يلقيها موشي ديان ويبسط فيها مغالمة الخريطة الجديدة للفتوحات الاسرائيلية ، كما ينقل سيفال جزءا من مقال نشرته مجلة تصدر عن طلاب الجامعة العبرية ويتضمن التساؤلات حول حكمة السياسة التوسعية التي تتبعها المؤسسة السياسية - العسكرية في اسرائيل .

وتنسحب انتقادات سيفال لاسرائيل على الصعيد الاجتماعي ايضا . فالتزيت الديني شهد انبعاثا اثر حرب الايام الستة ، ومؤخرا اصدرت المحكمة الاسرائيلية العليا قرارا يبين فيه ان سلطة المحاكم تتبع من تعاليم الدين وليس من الدولة ، مع انه عندما تأسست الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ ابدلت من بيان الاستقلال عبارة « الفتة بالله » الى الفتة « بصخرة اسرائيل » . ولكن ها ان الدين يعود من جديد ليضيق الخناق على تفكير الاسرائيليين وتصرفاتهم اليومية . وبعد الدين هناك مشكلة

العالم العربي . من هذه النظرة نفهم كم هي انتقائية تلك الموضوعية التي يدعيها سيفال ، عندما يقول في مقدمته : اني لا ادعي الموضوعية ، بل انا متحيز تحيزا بالغا ، وتحيزي هذا هو التزام بقيم الانسان وليس بقيم الدول والهيكل المقدسة .

ان سيفال ينتقد التعاطف المتبادل بين اسرائيل وجمهورية جنوب افريقيا المعروفة بؤسستها المعادية للسامية ، كما يبدي استنكاره لاحتقار الاسرائيليين للعرب ، مبينا ان منح الاسرائيليين الحكم الذاتي للضفة الغربية يعني في الواقع خضوعها لاسرائيل . لكنه يقف على ارض اقل ثباتا عندما يدعي ان الملاكين في الضفة الغربية قد ازداد رخاؤهم بسبب انتهاجهم التقنية الاسرائيلية الحديثة في الزراعة ، وبسبب انفتاح الاسواق الاسرائيلية أمام حاصلاتهم . فالواقع ان عكس ذلك تماما قد حدث : فعملال الزراعة الاجراء هجروا الزراعة من اجل العمل في حركة البناء الاسرائيلية الضخمة ، تاركين القطاع الزراعي العربي بيور لقلّة الايدي العاملة فيه . كما ان الاسواق الاسرائيلية لم تفتح أمام حاصلات الضفة الغربية بالقدر الذي يدعيه سيفال .

على أية حال ، يأخذ كتاب سيفال في اكتساب اهميته الرئيسية بدءا بالفصل الثاني الذي يخصه لمصر ، وبالفصل الثالث الذي يتناول فيه الاوضاع اللبنانية والاردنية والفلسطينية . وفي هذين الفصلين يقدم تحليلا للاوضاع السياسية والاجتماعية السائدة في هذه المنطقة من الوطن العربي لا يمكن للقارئ العربي الا ان ينلم بموضوعيته ، مع ان سيفال لا يأتي بجديد فيه . انه في لبنان يتحدث مع زعيم حزب بعثي ويسمع منه توجهه بأن لبنان يماثل سويسرا تماما ، ويأته مثل سويسرا يبغى الوقوف بهنأى عن مشاكل المنطقة . وبعد هذا الحديث يصغي سيفال الى يساري عربي يقول له : كم اتمنى ان يتوقفوا عن وصف لبنان بأنه سويسرا المنطقة ، فالواقع انه هوتغ كونغ الشرق الاوسط !

ولا ريب ان سيفال على حق عندما يسجل ان الشعور الوطني الفلسطيني هو دافع في العالم العربي من اجل التغيير الاجتماعي . لكنه بعد ذلك بصفحات قليلة ينفي مسؤولية اسرائيل « الكاملة » عن سقاء اللاجئين الفلسطينيين ، واضعا اللوم على